

واقع التعليم في العالم العربي

عُرِضت مسرحية مدرسة المشاغبين التي كتبها المصري "علي سالم" عام ١٩٧٣م وكانت تلك المسرحية واحدةً من أشكال التعبير وترسيخ الانطباع العام -ربما- عن واقع التعليم في العالم العربي، فالطلبة عصابات والمعلم ذو قدرات عقلية متخلفة و المدير مجرد غبي انتهازي.

هل كانت هذه الصورة معبرة عن الواقع أم محاولة لترسيخه؟ اليوم بعد ما يزيد على ٣ عقود من تلك المسرحية لا يزال الواقع الإعلامي -تحديداً- ينقل نفس التصور ويرسخ نفس الصورة بل أسوأ عن التعليم المدرسي في العالم العربي حتى وصلت المهانة بالإعلام المصري تحديداً إلى تضمين أحد الأفلام المصرية في مقارنة رخيصة السؤال: "هل، هذا معلم وهذا كلب؟!".

ما الذي نريده من التعليم في عالمنا العربي؟ وهل يحقق الواقع التعليمي شيئاً مما نريده؟

في هذا التقرير أناقش واقع التعليم المدرسي و الجامعي في العالم العربي من حيث الأرقام والحقائق والقضايا الإشكالية والمنهجية في منظومة التعليم العربي بشكل عام، والنظر في حال بعض الدول العربية وما الذي تعانيه بشكل خاص أو ما تقدمه من إضافات نوعية.

أرقام وحقائق:

نظرة سريعة على الأرقام التي تصدرها المؤسسات العربية العاملة في مجال التربية والتعليم في الوطن العربي نجد بأن عدد الأميين في العالم العربي يكاد يصل إلى حوالي ٥٤ مليون أمي وقد تم تسجيل تراجع بطيء لعدد الأميين في الوطن العربي بين سنتي ٢٠٠٨ و٢٠١٥ من حوالي ٥٨ مليون إلى ٥٤ مليون أمي. علماً أن عدد سكان الوطن العربي يبلغ حوالي ٣٢٧ مليون نسمة حسب تقرير (UNFPA) لحالة سكان العالم.^٢

وحسب البيانات أيضاً فإنه وحتى عام ٢٠٢٤ يتوقع أن يكون هناك ٤٩ مليون أمي في العالم العربي. من بينهم حوالي ١٥,٥ مليون ذكر و٣٣,٥ مليون أنثى. يبلغ عدد الأميين الشباب منهم حوالي ٦,٥ مليون.^٣

^١ انظر الدقيقة ٢٦,١٥ من فيلم "مطب صناعي" والعبارة جاءت على لسان بطل الفيلم الممثل: أحمد حلمي.

^٢ <https://www.unfpa.org/sites/default/files/pub-pdf/AR-SWOP%20November.pdf>

^٣ النشرة الإحصائية للمرصد العربي للتربية. العدد الأول ٢٠١٦. <http://www.alecso.org/marsad/site/?p=&lang=ar>

وحسب المرصد العربي أيضاً فإن حوالي ٥,٦ مليون طفل عربي ما بين ٦-١١ سنة لم يلتحقوا أساساً بالمدرسة (٦١,٢٪ منهم من الإناث) هذا في عام ٢٠١٤.

الدول العربية التشابه و الاختلاف

لا يمكن التعامل مع الدول العربية جميعاً بنفس الطريقة من حيث بحث وتحليل الواقع التعليمي فيها، وإن كان هناك العديد من المشكلات المشتركة بين هذه الدول إلا أن الخصوصية التي تحملها كل دولة ترتبط بقضاياها الداخلية التي أثرت على مجمل مجريات الأحداث فيها منذ حقبة ما بعد الاستعمار حتى الثورات العربية ضد أنظمة الاستبداد التي نعيشها اليوم.

وقد كانت الثورات العربية الحالية مؤذنة بتغيير كبير على جميع الصعد ومنها التعليم الذي يشكل رافعة النهضة الحقيقية لأي مشروع حضاري، ولكن حالة الارتداد التي شاهدناه تتم في جميع بلدان الربيع العربي خاصة مصر جعلتنا نطالع نتائج كارثية على العملية التعليمية بمجملها في المدى المنظور.

ويمكننا تقسيم الدول العربية إلى قسمين، دولٌ حققت نجاحات معينة في ميدان تطوير التعليم على المستوى المدرسي والجامعي. ودول أخرى لا تزال تعاني من مستوى تعليمي متدني ونظام تعليمي متخلف لا يحقق أدنى متطلبات حاجات العصر و المجتمع.

فبالنظر إلى الدول التي أحرزت نجاحات متقدمة على باقي الدول العربية في ميدان التعليم سنجد بعض دول الخليج والسعودية في المقدمة، فقد استطاعت هذه الدول أن ترفع من عدد الملتحقين بالتعليم المدرسي إلى مستويات متقدمة، ثم رفع كفاءة المعلمين واستيراد مناهج تعليمية متقدمة والسعي في تطوير الأنظمة والقوانين والمظاهر العمرانية كالمدارس والجامعات والمباني التعليمية.^٥ ولقد أظهرت العديد من التقييمات الدولية تقدم هذه الدول في الميدان التعليمي مثل حصول قطر على المرتبة الرابعة في جودة التعليم على مستوى العالم تلتها الإمارات العربية المتحدة التي جاءت في المرتبة ١٠ عالمياً والبحرين ٣٣ والسعودية ٦٠٥٤.

^٤ النشرة الإحصائية للمرصد العربي للتربية. العدد الثاني ٢٠١٦. <http://www.alecso.org/marsad/site/?p=2168&lang=ar>.

^٥ حول تطور التعليم في السعودية ينظر: أحمد الرومي، عامر السويدي. لمحات من المسيرة، التعليم السعودي خلال ٩٠ عاماً. استرجع بتاريخ: ٢٠١٦-٧-٧. http://www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=&ShowAll=On&Model=&SubModel=&ID=٤١٨

وحول التعليم في دول الخليج ينظر: عبد العزيز الحر، برنامج ضيف وقضية على قناة الجزيرة. استرجع بتاريخ ٢٠١٦-٧-٧.

<http://www.aljazeera.net/programs/guest-and-an-A-%9D%81%9-%D8%9A%D8%9D%84%9D%9B%8AA%D%8D%84%9D%9A%8/%D10/1/2016issue/AC%8A%D8%9D%84%9AE%D%8D%84%9D%9A%8-%D8%9D%88%9AF%D%8D>

^٦ التعليم في العالم العربي ٢٠١٥، استرجع بتاريخ ٢٠١٦-٧-٧.

<http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/8%9A%D8%9D%84%9D%9B%8AA%D%8D%84%9D%9A%8/%D30/10/2016http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/8%9A%D8%9D%84%9D%9B%8AA%D%8D%84%9D%9A%8-%D8%9D%88%9AF%D%8D>

المناكفات السياسية والشخصية بين الوزراء والمدراء والمتنفذين والعسكريين والمدنيين. كل ذلك في ظل غياب الهدف فما الذي نريده من التعليم وإلى أين نريد أن نصل، منافسة العالم أم تصدّر العالم الاقتصادي الصناعي أم الزراعي أم التقني أم الإنساني؟ والقضية الأخيرة التي يظهر أثرها على ثقافة الفرد والمجتمع تجاه التعليم وهي غياب الهدف الذي يصنعه التحدي فكل شيء متوفر والمستقبل الوظيفي والأمان المالي مضمون في ظل حالة الرخاء الاقتصادي التي تعيشها دول الخليج والسعودية في هذا الوقت جعلت من المواطن لا يحمل أيّ تحدٍ وبالتالي ليس له هدف وبذلك تضيع ثقافة التعليم وشغف الإنسان بطلب العلم وإذا ضاع ذلك كله فما الذي يبقى من العملية التعليمية!؟

بينما نجد بعض الدول العربية قد عرفت في الحروب والمشكلات التي تحتاج إلى سنوات طويلة لحلها انطلاقاً من حل مشكلاتها السياسية ابتداءً وصولاً إلى إصلاح منظوماتها المجتمعية. وهنا يمكن أن نشير إلى عدة دول بشكل رئيسي:-

سوريا؛ والواقع السوري اليوم قد أحال البلد بعد أكثر من 5 سنوات من الحرب المستمرة والمتشظية إلى دمار وقد أظهر تقرير اليونيسيف أرقاماً صادمة حول واقع التعليم حيث يظهر التقرير: تدمير ٣٣٪ من المدارس وأن هناك حوالي ٢,٨ مليون طفل سوري خارج المدرسة. كما أن نسبة الأطفال المشردين داخل سوريا وخارجها تبلغ حوالي ٥,٥ مليون طفل.^{١١} هذا الواقع المأساوي يغلق الباب أمام أي محاولة للبحث في واقع التعليم في بلد تعيش حالة حرب مستمرة اجتمعت فيها كل مصالح وتناقضات العالم لتتصارع على الأرض السورية.

العراق: لا تختلف العراق في واقعها المأساوي عن سورية وإن كان طول المدة وطبيعة النظام الحاكم قد أدت إلى عدم تسليط الضوء على واقعها كما هو الحال في دول أخرى. وتعيش العراق ضمن واقع مرتبك منذ احتلالها عام ٢٠٠٣ الذي دمر البنية التحتية وأزاح الواقع السياسي انزياحاً تاماً باتجاه السيطرة الإيرانية الشاملة. التي بدأت بقتل العلماء العراقيين^{١٢} ولم تقف عند حدود التدخل في وضع المناهج العراقية^{١٣}. هذا بالإضافة إلى الطبيعة الطائفية التي تسيطر على واقع التعليم في العراق والتي أنتجت ولا تزال خطاباً طائفياً مدمراً يجعل من التعليم ميداناً مساهماً لاستمرار الحرب الطائفية بين مكونات الشعب العراقي.^{١٤}

^{١١} تحت الحصار- الأثر المدمر على الأطفال خلال ثلاثة أعوام من النزاع في سوريا. آذار/ مارس ٢٠١٤. من إصدارات اليونيسيف. ٢٠١٤. يمكن تحميله من الرابط: <https://data.unhcr.org/syrianrefugees/download.php?id=4962>

^{١٢} اغتيال العلماء وأساتذة الجامعات العراقية. برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة، ٢٩-٧-٢٠٠٥. استرجع بتاريخ ٧-٧-٢٠١٦. <http://www.aljazeera.net/programs/behindthenews/-1A%D%YA%D%٨٥%D%٨٤%D%٩B%D%٨٤%D%٩A%D%٨%D%٩A%D%٠B%D%٨AA%D%٨D%٩A%D%٣B%D%٣A%D%٨٨%D%٩A%D%٩A%D%٩B%D%٨٥%D%٩A%D%٨AC%D%٨D%٨٤%D%٩A%D%٩A%D%٨%D%٩D%٨٢%D%٩D%٩A%D%١B%D%٩B%D%٨٤%D%٩A%D%٨%D>

^{١٣} الهيثم زعفران، الشبهة ولعبة تغيير المناهج الدراسية السنوية. استرجع بتاريخ ٧-٧-٢٠١٦. <http://www.almoslim.net/node/115594>

^{١٤} عدنان أبو زيد، التعليم الرسمي في العراق يخسر المعركة ضد التعليم الديني. استرجع بتاريخ ٧-٧-٢٠١٦. <http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2015/01/iraq-state-education-religious-curricula.html#ixzz4Dje2NR5b>

مصر: يبلغ معدل الأمية في مصر للسكان - ١٥ سنة فأكثر - ٢٩,٢٪ منهم ٢٠,٥٪ للذكور مقابل ٣٨,١٪ للإناث.^{١٥} وتحتل مصر حسب تقرير التنافسية العالمية المركز الأخير عربياً و ١١٦ من بين ١٤٠ دولة على مستوى العالم. بينما تحتل المركز ١٣٩ - أي قبل الأخير - عالمياً في جودة التعليم الأساسي.^{١٦}

موريتانيا: تقول الأرقام الحكومية أن نسبة التحاق التلاميذ في المدارس تصل ٨٤٪ ومع ذلك فإن ٤٠٪ من هؤلاء التلاميذ لا يكملون دراستهم الابتدائية بل يتسربون من التعليم. أيضاً في موريتانيا توجد جامعة واحدة هي جامعة نواكشوط وهذه الجامعة تضم أربع كليات فقط هي الطب والآداب والعلوم وكلية القانون والاقتصاد إضافة إلى معهد تقني واحد، ولذلك فهناك نقص واضح وعدم ارتباط باحتياجات سوق العمل في موريتانيا من صيد وزراعة وتعيين وهندسة وغيرها والنتيجة أن ١٢٪ فقط من خريجي هذه الجامعة يجدون فرص عمل.^{١٧} موريتانيا هي الدولة الأولى عربياً بنسبة الأمية التي تصل إلى ٤٨٪.^{١٨}

هذه البيانات المختلفة التي أوردها كنموذج لعدة دول تعاني من مشكلات مختلفة وفي ميادين متعددة تعطينا تصوراً كافياً - ربما - عن واقع التعليم في بلادنا العربية ومقدار الانحدار الذي وصلت إليه منظومات التعليم العربية مجتمعة ومتفرقة، حيث لا يمكن لنا أن نقول بأن هناك نظام عربي واحد يحقق نجاحات حقيقية تنطلق من هوية واضحة ضمن استراتيجيات واحدة إلى هدف حقيقي.

البيانات المتعلقة بالجامعات العربية ليست أفضل حالاً سواءً على مستوى الواقع الذي تعيشه الجامعات من ناحية العمران والمختبرات أو الخبرات والمناهج أو نوعية الطلاب التي تنتقل من النظام المدرسي المتهاك.

وقد وضع الدكتور نضال قسوم وأطهر أسامة بحثاً قيماً نشره في مجلة (nature) الطبعة العربية وضعاً فيه خلاصة المشكلات والمقترحات لتحسين واقع التعليم الجامعي في العالم الإسلامي. يعطي التقرير بعض الإحصاءات الأساسية في موضوع

^{١٥} استرجع بتاريخ ١٢-٧-٢٠١٦.

<http://www.egyrep.com/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AD%D8%B5%D8%A7%D8%A1-%D9%86%D8%B3%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%89-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%A8%D9%84%D8%BA%D8%AA-29-2-15-%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D9%81>

^{١٦} مؤشرات التعليم في ضوء تقرير التنافسية العالمية ٢٠١٥-٢٠١٦. استرجع بتاريخ ١٢-٧-٢٠١٦.

<http://drgawdat.edutech-portal.net/archives/14608>

^{١٧} أوضاع قطاع التعليم في موريتانيا، برنامج الاقتصاد والناس على قناة الجزيرة، استرجع بتاريخ ١٢-٧-٢٠١٦.

<http://www.aljazeera.net/programs/economyandpeople/-9B%D9%84%D8%A5%D8%AD%D8%B5%D8%A7%D8%A1-%D9%86%D8%B3%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%89-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%A8%D9%84%D8%BA%D8%AA-29-2-15-%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D9%81>

^{١٨} <http://www.radiosawa.com/a/international-literacy-day/> ٢٨٠٤١٧.html

الجامعات والنشر العلمي حيث: " تعتبر دول العالم الإسلامي، البالغ عددها ٥٧ دولة، وطناً لحوالي ٢٥٪ من سكان العالم، أي تلك الدول التي يمثل المسلمون غالبية تعدادها السكاني، والتي تحوي دول العالم الإسلامي، البالغ عددها ٥٧ دولة، أي تلك التي يمثل المسلمون غالبية تعدادها السكاني والتي تنتمي الى منظمة التعاون الإسلامي (OIC) ، حوالي ٢٥ ٪ من سكان العالم. ولكن في ٢٠١٢، بلغ إسهام هذه الدول في براءات الاختراع العالمية نسبة ١,٦٪، و٦٪ من المنشورات الأكاديمية، و٢,٤٪ من نفقات الأبحاث العالمية فقط. كما حاز ثلاثة أشخاص فحسب من دول منظمة التعاون الإسلامي على جائزة «نوبل» للعلوم. واليوم، لا نجد في هذه الدول سوى ١٢ جامعة مصنفة بين أفضل ٤٠٠ جامعة على مستوى العالم، ولا نجد أي جامعة ضمن أفضل ١٠٠ على مستوى العالم.^{١٩}

وقد تحدثنا في التقرير عن ضرورة تطوير المناهج والدمج بين العلوم الإنسانية والعلوم البحتة وضرورة تأهيل المعلمين حول آليات التعليم الحديث وجعل الكفاءة والجدارة هي مقياس قبول وتخرج وترفيح الطالب وغيرها من القضايا الجوهرية التي يمكن الرجوع إليها في التقرير المنشور.

التوصيات

التقرير الذي سبق يشير بوضوح لا يحتمل التأويل أن العالم العربي اليوم يعيش في واحدة من أسوأ مراحل الحضارية في ميدان التعليم على جميع الأصعدة. وعلى الرغم من تنبه بعض الدول العربية إلى الأمر ومحاولة تطوير التعليم في بلدانها إلا أنها محاولات ضعيفة غارقة في المظاهر العمرانية والفنية والشكلانية على حساب الجوهر. وأغلب المحاولات تأتي في سياق ملاحقة الحضارة الغربية ومعاييرها التنافسية التي لا تنسجم لا مع هويتنا ولا مع حاجتنا.

إضافة إلى ذلك جاءت الثورات العربية وما تبعها من حروب داخلية وانقلابات وحالة توحش قضت على آمال العرب في الإصلاح والانتقال إلى نظام نابع من رحم المجتمع؛ لتكون مؤذنة بأن الإصلاح في المرحلة الحالية يجب أن يحمله المجتمع نفسه وأن التعويل على الإصلاح السياسي الذي يغير الواقع التعليمي لم يحن وقته بعد.

وهنا لا بد من التأكيد على دور المجتمع وقواه المدنية الحيّة التي يجب أن تبادر إلى دراسة الواقع وإيجاد الحلول التي تستند إلى المجتمع نفسه وليس إلى الحكومات ولا المنظمات الدولية؛ لتنتقل حقيقة من رحم المجتمع وهويته الإسلامية العربية وتركز

^{١٩} نضال قسوم وأظهر أسامة. إحياء جامعات العالم الإسلامي. منشور في ديسمبر ٢٠١٥. استرجع بتاريخ ١٢-٧-٢٠١٦. <http://arabicedition.nature.com/journal/Ya#ref٥٢٦٦٣٤/١٢/٢٠١٥>

التي تساعد في إنجاح هذا النوع من التعليم الذي يسعى إلى تعليم الطالب بعيداً عن المؤثرات السلبية التي يعيشها في المدرسة.^{٢٢}

هذه المقترحات العامة ليست بديلاً عن ضرورة تطوير التعليم العربي على مستوى الحكومات والانطلاق في شبكات تعاون عربية عبر المؤسسات العربية القائمة من أجل محو الأمية وتطوير التعليم المدرسي والجامعي. ولكن في ظل غياب التنسيق العربي وحالة الاستبداد السياسي القائم والتي دمرت البلاد والعباد فإنه لا بد من النظر خارج الصندوق والبحث ملياً في هذه الوسائل وتعزيزها حتى لا تستثمر المزيد من حالات الجهل في مجتمعنا فيزداد العبء الذي ستتحمله الأجيال القادمة في سبيل النهوض.

الدور الكبير اليوم هو دور المجتمع وكل فرد متعلم فيه يحمل مسؤولية أخلاقية كبيرة في السعي إلى بناء مؤسسات مدنية غير حكومية ترعى جانباً من جوانب التعليم تنطلق من هويتنا الإسلامية العربية وتسعى جاهدة في رفع مستوى هذا الأمة في ميدان العلم والمعرفة.

" الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برق للأبحاث والدراسات "

© 2016 جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برق للأبحاث والدراسات